

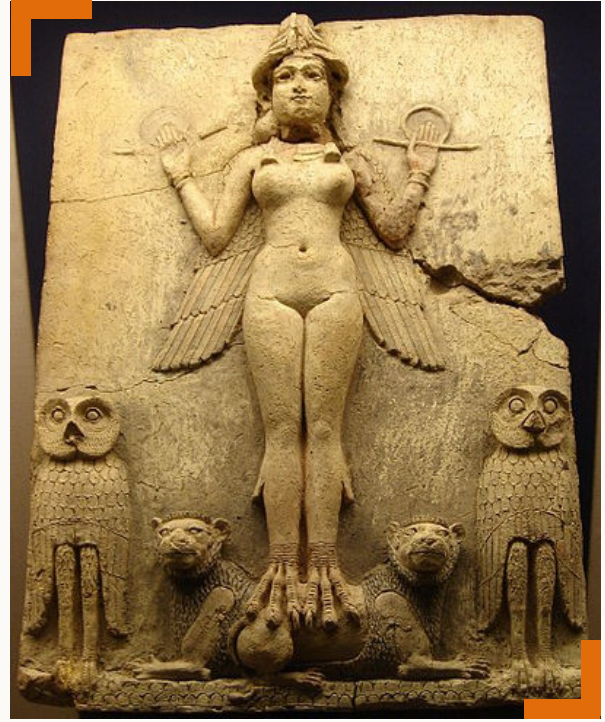
ملخص

مُنح الإنسان العاقل الإمكانات الطبيعية والبيئية، وبنية دماغية تتطور وفق آلية التحريض والاستجابة حتى استطاع أن يمضي في مسير الحضارة، كاشقاً، مبدعاً، متجاوزاً نفسه في كثير من المجالات، حتى أدرك العلو، وفهم أن هناك سيّداً للأعالي، يحمل قيم الخير والحق والجمال. ومن أجل وعي هذا المطلق، كان عليه أن يلامس مظاهر الطبيعة، خائف تارة، حذر تارة أخرى، منفعل بها حتى رمّزها واستجار بها. تلك الرموز الطبيعية قدّس ظواهرها في سعيه نحو سيد السماء وخالق كل شيء. كان الإنسان إذن كائن من خير، لم يبتكر وثنيته، بل سعى نحو الإله حاملاً مظاهر خلقه، القمر، الشمس... إلخ. والوثن حسب البيئة الطبيعية، فهو انعكاس لذهنية اجتماعية تفاعلت مع البيئة الطبيعية، فكلما شخّت البيئة الطبيعية كانت الوثنية حسية، بدائية، غريزية، والعكس صحيح.

لا تبتعد الذهنية المشرقية في تصوراتها عن نشوء الكون عما أوحى إليه المعتقدات بعامة، ومن الماء نشأ الكون، فالسماء مفصولة عن الأرض بالفضاء/ الهواء، الذي بدوره تولدت منه الأجرام النيرة، ثم انبثقت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية. وثمة سيد الكون وخالقه، غير المدرك، والذي استعان بملائكته في العلاقة الواسلة بينه وبين البشر، تلك الملائكة التي تم التعبير عنها في الذهنية المشرقية بالرموز الطبيعية وغيرها: شمس (الشمس)، سن (القمر)، انليل (الهواء أو الفاصل بين السماء والأرض)، وهكذا. وسيد الكون (الإله العالي) هو أنو في الألف الثالثة قبل الميلاد، وايل في الألف الثانية قبل الميلاد، وصولاً إلى الله في الأديان السماوية. كلمة أنو هي التي تحدد مصير وقدر الإنسان ولا ينقضيها أي إله آخر لأن الآلهة الأخرى أدنى مرتبة. وهذا يؤكد سمو أنو وتفرد ووحدايته. فهو المجرد، البعيد، العالي، السامي، مقابل آلهة تُعنى بتنفيذ الكلمة الإلهية لأنو والتي لا تتبدل ولا تنقض.

وقد تبدى السيد العالي في الوثائق: "هو الذي لم تلده امرأة، وإنما خلق نفسه بنفسه، هو الثمرة التي خلقت نفسها بنفسها، خالق كل شيء، واهب الحياة، راعي البلاد - أبو السنين (الخالد) - خالق الخلائق - الحكيم - الطبيب - سيد الرحمة - الرحيم (ذو الفؤاد) - السيد الذي لا تبدل مشيئته - أنواره لا يحدها بصر - أسرار جواهره التي تبقى خافية على البشر - لا أحد يعرف برسائله - لا أحد يلم بقراراته - لا أحد يستطيع فهم دروبه".

بهذا قاربنا مجموعة الرموز الاعتقادية التي عُبدت في المشرق العربي، والتي كان في استمراريتها حتى الألف الأول الميلادي دوره المهم، ولاسيما فكرة الإله العالي، المحجوب، الذي يسكن السماء، لا يرى ولا يُرى، ويبيده مقادير الأرض والسماء، هذه الفكرة التي سوف تتطور وتتلور مع مَرّ العصور حتى فجر الأديان السماوية المسيحية والإسلامية والتي ستكون رافعتها الحضارية هي ثقافة الألف الأول قبل الميلاد، الكلدانية - الآرامية بالذات التي امتدت فاعليتها الحضارية حتى الجزيرة العربية انطلاقاً من تيماء، العاصمة الثانية للملك الكلداني نبونيد بعد بابل.



استحضار الرموز فوق الطبيعية إلى الأرض في المشرق العربي القديم

أ.د. بشار محمد خليف

كاتب وباحث في تاريخ العالم العربي
خبير دراسات حضارة المشرق العربي القديم
دمشق - الجمهورية العربية السورية



الاستشهاد المرجعي بالمقال:

بشار محمد خليف، استحضار الرموز فوق الطبيعية إلى الأرض في المشرق العربي القديم- دورية كان التاريخية- العدد الثامن عشر: ديسمبر ٢٠١٢. ص ٩٣ - ١٠١.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

خمس أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

مقدمة

نعيننا بالمقدمة هنا هو التحضير للدخول إلى عالم مليء بالوثائق والمعطيات، التي نتحدث عن مجمل أوجه الحياة في المشرق العربي. وكون أن بحثنا يختص بالمعتقدات والأديان وبالتالي عالم الألوهة، فلا بد لنا من الإشارة هنا - وفق هذا الناظم العلمي لبحثنا - أنه إلى الآن تبدو لنا الإنسان - المجتمع في مدن المشرق، كائنًا عاقلًا، واعيًا ويخطو وعيه أكثر وأفضل في محاولة لاستجلاء الحقائق الكبرى للوجود الإنساني، بمعنى آخر، كان إنسانًا إيجابيًا، فاعلاً، لاحظًا واستنتج، مارس حياته بغبطة وبسؤال كان يطرحه دائمًا حين ينظر إلى مظاهر الوسط الطبيعي الحيوي، حتى ليبدو أن سيد السماء والأرض الذي منحه العقل والبنية الدماغية الآلة نحو التطور، ينظر إلى مخلوقه دونما تدخل، حتى يسعى هو ليكتشفه عبر إدراكه المتنامي للظواهر الكونية والطبيعية والروحية.

ويبدو أن الإنسان كان على قدر التحدي الذي فرض عليه من سيد السماء والأرض، فكان عليه أن يستحضره، لا أن يخلقه - وهذا ما تعبّر عنه الأسطورة المشرقية بشكل واضح - فالخالق صمد منذ بداية التفكير الميثولوجي. والشيء اللافت هنا، هو أن تعدد المظاهر الكبرى للوسط الطبيعي، حتمت على الإنسان ترميزها عبر رموز عديدة، فُهمت في المسار العام للحضارة وللثقافة الدينية، على أنها تعددية إلهية، وهذا ما ساهم الاستشراق الغربي به وألفناه بدورنا، حتى صار من اليقينيّات. رغم أن الوثائق الكتابية لأجدادنا، أوضحت، لا بل وأسست لمجمل العلاقة بين الفرد = المجتمع والخالق بناظم مازلنا نحياه إلى الآن.

والشيء المهم فيما نراه، هو أن من ينشئ مدناً، ويبني معابدًا، ويستحضر رموزه فوق الطبيعية إلهه، ويبني نظامًا فكريًا - اعتقاديًا متوازنًا، ويصور عالم الألوهة الطافح بقيم الخير والجمال والحق، ويسن القوانين الاجتماعية التي تستند على الذات السماوية آنذاك، هو كائن طافح بقيم الخير والعطاء والتوازن، التوازن الاجتماعي، التوازن في المستوى النفسي، التوازن فيما بين الأرض والسماء، وصار من الظلم أن ننظر إلى تلك المجتمعات بأنها مجتمعات وثنية، أو تعددية. فالوثن كان رمزًا لإله لم يعبر عن نفسه بعد، استحضر كي يتم التقرب لسيد السماء المتواري والبعيد عن خلقه، فكان ابتكارًا لذهنية خيرة تسعى أن يكون خالقها لها.

وحتى التعامل مع الوثن كان يتم وفق ناظم حضاري مديني، وليس كما تم تصويره في أدبياتنا العربية والإسلامية، حيث أنه لم يتم الانتباه إلى اختلاف القيم والمعايير الاجتماعية البيئية بين مجتمعات حضارية متمدنة، وتجمعات رعوية بدائية لم تعرف أسباب الحضارة، وبالتالي كان تفاعلها مع الوثن تفاعلًا خفيًا، سطحيًا، لا يستند على ثقافة راسخة بين السماء والأرض كما في المشرق العربي القديم. ثم أننا خلال تتبعنا القادم لمختلف أوجه الحياة الاعتقادية، سوف نلاحظ الاستمرارية الحضارية لهذه الحياة، حتى وقتنا الحاضر.

ولابد أن نشير هنا؛ إلى أن دخول المشرق العربي في الألفية الثانية قبل الميلاد، وتفاعل البنى الديمغرافية الجديدة، العمورية - الكنعانية/ التي كانت تجول في منطقة تمتد من الفرات شمالاً وحتى شبه الجزيرة العربية جنوباً/ مع المنجز المشرقي السائد، جعل من الممالك العمورية - الكنعانية التي تشكلت في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وعلى مدى المشرق العربي، رافعة حضارية - ثقافية سوف تطبع بهويتها حركة التاريخ في المنطقة العربية المشرقية وصولاً حتى اليمن مروراً بشبه الجزيرة العربية. ثم ومع الألف الأول سنشهد الفاعلية الآرامية الثقافية والتي في اندماجها مع الفاعلية العربية المتفاعلة مع المشرق العربي هيأت الأرضية الثقافية والاعتقادية والروحية لنشوء الأديان اللاحقة.

وقد غُلف كل ذلك بمنظور ومنظومة متكاملة من الأفكار والمعتقدات والمعايير والقيم التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه. هذا من جهة المقدمة، أما من جهة الملاحظات، فينبغي أن نشير هنا إلى أن قراءة الكتابات المسمارية ودراسة اللقى والبنى الآثارية تمّ على يد الاستشراق الغربي، ومن هذا الاستشراق ما أصاب، ومنه ما أخطأ. والمشكلة أن الباحثين العرب إما نقلوا ما كتبه الاستشراق، أو رفضوا ما طرحه المستشرقون، وقليلًا ما نجد باحثًا وقف وقفة نقدية مما طرحه الاستشراق إلا لمأماً، ولاسيما في مساق المعتقدات والأديان القديمة. وهذا ما صادفناه كثيرًا وسبّب لنا غموضًا، وفوضى معرفية، حاولنا قدر الإمكان الانفلات من برائتها.

أيضًا، ثمة شأن آخر، يُعنى بقراءة الوثائق ونقلها إلى اللغات الأجنبية، حيث أن كتابات أجدادنا، ولاسيما الأكديّة بشقيها البابلي والآشوري والكنعانية - العمورية، قُرأت بلغات أجنبية، مما أبعدها عن محورها الطبيعي الكامن في اللغة العربية الفصحى، وصار لزماً على الباحث أن يقرأ مثلاً ترجمة عن الأوروبية للغة أجداده وكتاباتهم، وهذا ما سبب الكثير من اللغط اللغوي والألسني. وحتى في فهم الذهنية المشرقية التاريخية الفاعلة فينا إلى الآن. لهذا نجد كيف تختلف أسماء الآلهة / الرموز / القديمة، كتابة ولفظًا، وكيف يمكن أن يسبب هذا الأمر المزيد من المشاق والمصاعب للباحث في هذا المجال.

وفي شأن المعتقدات الدينية، فإن ما قرأناه للباحثين الأجانب، يجعلنا نحس في معظمه، أن الباحث ذاك كما يقولون من طينة أخرى، حيث يقذف بالأفكار والاستنتاجات التي ربما لا تكون في مساقها العام. وهذا عائد بشكل أساسي لاختلاف الذهنية أولاً، ولكوننا نحن أحفاد هؤلاء الأجداد الذين كتبوا لنا ما تصوره وما فعلوه على مدى ثلاثة آلاف عام، فمن أجدر منا بفهم معتقد أجداده؟

المعتقد المشرقي في نشوء الكون

نستمد معظم معارفنا عن طريقة تفكير المشرقيين في نشوء الكون، من الأساطير والأدبيات الأخرى التي عنث بشكل أو بآخر بنظرة إلى الكون، تشكّل سابقة في التاريخ البشري. يقول صموئيل

خلف كل هذا وذاك، كان يتربع على عرش الألوهة، سيد عالي هو أبو السموات والأرض وهو كبير الآلهة وخالق كل الموجودات والكائنات. والجدير ذكره: هو أن السيد العالي هذا تجسد في كل عصر مشرقى بامتياز، وهو الإله السامي غير المدرك والذي يدير شؤون الكون عبر الآلهة الأدنى / الملائكة/ المختصة كل منها بحيز من الكون.

ففي البدء ذكرت الوثائق الإله "أنو" الذي اختص بمجمل عالم الألوهة في الألف الثالث، ثم سوف نجد الإله ايل الكنعاني الذي يشابه أنو.. وصولاً إلى الله في الأديان السماوية. ولعل ما وصل إليه العقل المشرقي آنذاك، يعتبر فتحاً معرفياً مهماً لجهة كشف حقائق الألوهة وماهيتها في ذلك الزمن المبكر، رغم أن البنية الدماغية لم تكن قد وصلت إلى درجة متطورة تمكنه من إدراك الوحدةانية ببعدها الحقيقي وبجوهرها المرتبط بوحدة المجتمع. يشير كريمر هنا إلى أن المفكر/ المشرقي/ الكثير التأمل كانت له القدرة العقلية على أن يفكر تفكيراً منطقياً متتابعاً ومفهوماً، في أي قضية فكرية بما في ذلك قضايا أصل الكون ونظام سيره. ولكن العقبة التي وقفت حجر عثرة هي أنه كانت تعوزه الحقائق العلمية، كما كانت تنقصه أيضاً الوسائل العقلية الأساسية كالتعريف والتعميم، وثم أنه لم يدرك مطلقاً عمليات النمو والتطور.^(٤)

وكان لدى تفكيرهم أيضاً تمييز بين آلهة خالقة وآلهة لا تقدر على الخلق، فالنظام الكوني المؤلف من العناصر الأساسية الأربعة: السماء – البحر – الأرض – الفضاء تحكمه أربعة آلهة. بيد أن الخلق الذي تم، كان على مبدأ القوة الخالقة "الكلمة الإلهية"، وهذا ما ساد فيما بعد في المعتقدات والأديان اللاحقة. فحسب هذا المبدأ كان كل ما ينبغي على الإله الخالق، العالي، أن يفعله هو أن يقول "الكلمة" وينطق بالاسم/ للشيء المراد خلقه./ وقد أطلقوا على هذا المبدأ "مي" التي تعني مجموعة القواعد والنواميس المنظمة لكل ظاهرة أو ماهية كونية، لا بل وكل ظاهرة عمرانية. وقد ورد موجز عن خلق الكون في أسطورة جلجامش، انكيديو والعالم الآخر:

"بعد أن فصلت السماء عن الأرض

بعد أن فصلت الأرض عن السماء

وبعد أن عين اسم الإنسان / خلق الإنسان /

وبعد أن أخذ السماء "أنو" (إله السماء)

وبعد أن أخذ الأرض "انليل" (إله الفضاء والهواء)."^(٥)

ونتيجة لاتحاد انليل والأرض تم تنظيم الكون، عبر خلق النبات والحيوان والإنسان وتأسيس المدنية.^(٦) وتحدث أسطورة تعود للألف الثاني قبل الميلاد تقدم لنا وصفاً لنشوء الكون وتوابعه..

نقرأ:

"في الأصل كانت كل الأقاليم والأرض بحراً

كان كل شيء مغطى بالماء

الإله(مردوخ) ظفر بحصير على سطح المياه

وصنع شيئاً من التراب وخلطه مع الحصير

كريمر: "السومريون/ المشرقيون/ كانوا قد أطلوا التأمل في الطبيعة، وفكروا في منشأ الكون، وكيفية قيامه وتدبره. وهناك دلائل تشير إلى أن مفكرهم كانوا في الألف الثالث قبل الميلاد، قد وضعوا قواعد للكونيات واللاهوت، وقد أصبحت تلك القواعد بعدهم، أساساً للقواعد والشرائع التي عُرفت في منطقة الشرق الأوسط".^(١) وقد عرف الفكر المشرقي في منهجه الذهني حركتين هما: الجدل الصاعد، الذي ارتقى من التجربة الإنسانية إلى الطبيعة، فالألوهة. الجدل النازل، الذي كان يسير عكس ذلك، وصولاً إلى الارتقاء من الجزئي إلى الكلي، ومن الفوضى إلى النظام، ومن عدم التعيين إلى الوضوح، ومن الحسي إلى العقلي، ومن الكثرة إلى القلة، ومن التجربة اليومية إلى المفهوم المجرد.^(٢)

تتضمن نظرة المشرقيين إلى الكون، على أنه شبه كرة هائلة، قسمها العلوي يشكل نصف كرة سماوية، أما النصف الآخر المناظر فهو مقابل ومعاكس للأول، مظلم ومشتوم يسمونه "السفلي". وشبه الكرة هذه مفصولة تماماً عن القطر بامتداد هائل من الماء، البحر، ووسطه الأرض – المسطحة.^(٣) ولعل اللافت في نظريهم لنشوء الكون، أن من أنشأه هو إله أو آلهة، ولأن بنيتهم الدماغية لم تصل إلى درجة تكشف لهم المحجوب من الظواهر والرموز، فقد توقفوا عند أن من صنع هذا الكون هو حتماً كائن أو كائنات فوق بشرية، وغير مرئية، وقلنا أن إحساس الإنسان بالعجز والصغر أمام ضخامة وعمق السماء والكون، جعلت الإنسان مدرّكاً بأن ثمة رموزاً غير منظورة هي التي تتحكم بهذا الكون الشاسع لا بل وهي خالقه منذ الأزل.

ومن تكون هذه الرموز سوى الرموز فوق الطبيعية المتحكممة بمقدرات وظواهر هذا الكون. غير أن اللافت تماماً هنا، هو أن الرموز التي أطلقوا عليها صفات الآلهة، كان يحكمها إله = سيد = أعلى، متوار في السماء، لا يرى لكنه يدير دفة الكون والحياة ويشرف على الآلهة الأدنى التي نشأ هنا اعتبارها كملائكة، كما تبدت في الأديان اللاحقة. أيضاً، ثمة إضاءة في التفكير المشرقي على أن الخلق الكوني لم يتم من العدم أوفي عدم، ففي كل حالة نجد مادة من المواد الخام هي التي تخلق الأشياء منها. والذي يلاحظ أن الماء كان هو المادة الخام الأصلية. وهذا ما ينسحب على مجمل الفكر الإنساني الديني والديني اللاحق فالماء الأول = المحرك الأول = العلة الأولى، هو البدء، ولم يتساءلوا ماذا كان يوجد قبل الماء في الزمان والمكان.

ومن الماء نشأ الكون، فالسماء مفصولة عن الأرض بالفضاء / الهواء، الذي بدوره تولدت منه الأجرام النيرة، ثم انبثقت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية. وثمة آلهة قوامها كائنات حية هيأتها شبيهة بالإنسان، ولكنها أعلى مقدرة منه وأسمى وخالدة ولا يمكن رؤيتها بعين الإنسان الفاني، فهي تسيّر الوجود وتسيطر عليه بموجب خطط ونواميس معينة. وكانت كل آلهة من هذه الآلهة توكل بجزء خاص من هذا الكون ليسير شؤونه. ولكن

هكذا كَوْنُ لوحاً صلباً فوق المياه (هي الأرض)

ولأجل تمكين الآلهة من الاستقرار في أماكن محببة إلى قلوبهم خلق بالتعاقب البشر وحيوانات الصحراء ثم خلق نهري دجلة والفرات ثم خلق الزرع ومزارع القصب والغابة والحيوانات الأليفة والوحشية وأخيراً قام ببناء المدن وبصورة خاصة نيبور وأوروك مع معابدها^(٨)

وكان وفق تصور المشرقيين أن السماء تحوي على قبب عديدة الواحدة فوق الأخرى، وتبدأ من الأكثر قرئاً وهي أماكن النجوم حتى تصل إلى قمة هذه القباب حيث "سماء أنو.. ومحل مسكن الآلهة العظيمة" ما يذكر بالسموات السبع فيما بعد. وهنا لا بأس من تبيان النظام الإلهي / الرمزي/ كما تبدى في عقلية ومعتقد المشرقيين. حيث تورد المصادر الغربية، أعداداً هائلة للآلهة في المشرق العربي، حتى ليبدو أحياناً، أن كل اسم علم يحمل طابع الغرابة، ممكن أن يفسر على أنه اسم إله. والحقيقة أن المدنية المشرقية كانت تقوم على نظام إلهي واضح، أما ما زاد من آلهة وأسماء وأشياء آلهة، فلا يتعدى أن يكون بلغتنا الحديثة، عبارة عن كائنات شخصية تحمل صفات خارقة.

بالإضافة إلى هذا: إن التكوين الديمغرافي للمدينة - مطلق مدنية - ليس ثابتاً، بل يشهد باستمرار تدفق أقدام جديدة تحمل معتقداتها ورموزها، حيث تضاف إلى الرموز والآلهة الأخرى. لكن الشيء الواضح تماماً في نسق المدن الأساسية ذات البنيان الاجتماعي - الاقتصادي - الروحي - الاعتقادي، أن تكوين مجمع الآلهة لديها، يشبه المدن الأخرى. وقد تختلف مرتبة إله عن آخر، أو اسم إله عن آخر، من مدينة إلى أخرى، ولكن بالاستنتاج العام، نحن أمام منظومة إلهية واضحة في التفكير المشرقي وهي التي نعتمدها في بحثنا المستند على الوثائق لا الافتراضات.

مجموعة الرموز الاعتقادية في المشرق العربي:

أنو:

ويعني السماء أو الأعالي. وهو إله السماء عند المشرقيين السومريين ويلفظ بالأكدية "أنوم". كان يتصدر مجمع الآلهة وهو "أنو العظيم" ولم تتوقف عبادته طوال التاريخ حتى ما قبل القرون الميلادية. يرمز له بالخط المسماري بما يعني الإله بشكل عام. حيث تتجمع عنده السلطة العليا. وهو إله متوار في السماء، تشهد على أفعاله، أعمال الآلهة الأدنى منه ولاسيما انليل. كان طريقه في السماء يحتوي على خمسة عشر نجماً من بينه، الحوت الجنوبي - الدلو - قنطورس - الذئب - العقرب - قلب العقرب - الراعي. وكانت سماء أنو تعتبر المكان الأفضل لاجتماع الآلهة في الأفراح والأتراح. وكانت المنطقة الوسطى من السماء تعتبر طريقاً لـ أنو، وتمر هذه المنطقة بشكل منحرف عبر محور شمالي - جنوبي، حيث يوجد فوقها طريق الإله "انليل" أما تحتها فطريق الإله "إيا".^(٩)

وتقع كل النجوم حسب المشرقيين ضمن دنيا أنو. مع الفاعلية العمورية لبابل في الألف الثاني ق.م، تم إحلال الإله مردوخ البابلي مكان الإله أنو وربما حظي مردوخ المائل للانليل بالأهمية مقابل توارى أنو في سمائه. وفي محاولة لإيضاح فعل السيد العالي أنو، نقرأ في تعويذة وجع الأسنان: "عندما خلق أنو السماء، وأنتجت السماء الأرض، والأرض خلقت الأنهار، والأنهار خلقت القنوات، والقنوات خلقت الأواني، والأواني خلقت الورد... الخ".

كما نقرأ في وثيقة أخرى: "عندما خلق أنو السماء، وخلق إيا المياه .. ومن المحيط أخذ إيا قطعة من الطين، ومن هذه القطعة كون إيا بالتعاقب إلهاً صانعاً للأجر، إله مزرعة القصب والغابة، الإله النجار، الإله الحداد، الإله الصانع، الإله قاطع الحجر، وهذه الآلهة بدورها كلفت ببناء المعابد وتأثيثها. كذلك خلق إيا الإله الخاص بالخميرة وشجرة العنب، في سبيل "تكاثر القرابين" في المعابد.^(٨)

ويوضح نص يعود للملك (لوجال زاجيزي) مدى ألوهية أنو و"وحدانيته" في التفكير المشرقي حيث نقرأ: "يا سيد البلاد انليل، انقل طلبي إلى أبيك المحبوب (أنو) بأن يطيل عمري، ويجعل أراضني في مأمن من الأخطار، ودعه يعطيني محاربين بعدد عشب الأرض. فالمصير الخير الذي يكتبه لي لا يقوى أحد من الآلهة على تغييره". ويستوقفنا في هذا النص، مدلولات عديدة تنبغي الإشارة إليها: أولاً: مفهوم الأبوة هذا لا يدخل ضمن المعيار البيولوجي، الذي ربما لا يفهم من قبل الثقافة البسيطة إلا بأنه مفهوم حسي بيولوجي، وهذه الأبوة ستجد صداها مع الديانة المسيحية. ثانياً: إن أنو/ الإله العالي/ هو محجوب عن البشر في عرشه السماوي.

ثالثاً: إن انليل يشكل أداة تنفيذية في يد الإله الكبير أنو = سيد الآلهة. فهو مثل الملائكة بالمفهوم الديني، أو كبير الملائكة جبريل مثلاً = رجل الإله.

رابعاً: كلمة أنو هي التي تحدد مصير وقدر الإنسان ولا ينقضها أي إله آخر لأن الآلهة الأخرى أدنى مرتبة. وهذا يؤكد سمو أنو وتفرد ووحدانيته. فهو المجرد، البعيد، العالي، السامي، مقابل آلهة تُعنى بتنفيذ الكلمة الإلهية لأنو والتي لا تتبدل ولا تنقض.

جاء في قانون حمورابي: "دعاني أنو أنا حمورابي إلى نشر العدالة في البلاد والقضاء على الشر والأشرار، ومنع القوي من ظلم الضعيف". ويشير الدكتور جرجي كنعان إلى أن مفهوم "أنو" السيد، ظهر في المشرق قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، وظل كصفة للقوة والسلطة المطلقتين اللتين توجي بهما السماء، مترسحاً في الذهنية المشرقية لأكثر من ألفي سنة، الجدير ذكره هنا، هو أن الإله "إيل"، هو النسخة الشامية / الكنعانية / المطابقة للإله أنو الرافدي. ولا بأس هنا من إيراد ترنيمة إلى الإله أنو = السيد العالي كما جاءت في الوثائق المشرقية:

"سيد الآلهة

الذي كلمته هي السلطة العليا في مجمع الآلهة الكبار

سيد التاج العظيم الممتلئ بهاءً

أنت الذي يمتطي الأعاصير الكبيرة

تَرَقُّ أذن الـ "إيكبي" [الآلهة السماوية / الملائكة] لسماع حكمتك العظيمة

ولا تقترب منك الـ "أنوناكي" [الآلهة الأرضية/وهي ملائكة الواقع

الحياتي الدنيوي] بمجموعها إلا وهي مرتجفة من صوتك

تخرّج الآلهة ساجدات

مثل نبات القصب، تحت رحمة الريح العاصفة".^(١٠)

وتقدم النصوص، الطبيعة الإلهية بشكل كامل ومكتمل، يفوق مستوى البشر. فالآلهة سامية ورفيعة المقام وملينة بالقوة والقدرة غير الطبيعية، تحيط وتسيطر بنظرها على ما بين السماء والأرض، تكتشف الباطن والخيء الذي لا يستطيع البشر رؤيته، تعرف المستقبل وتعرف كل شيء.

والأهم في صفاتها أنها خالدة، حيث يرد في النص:

"عندما خلقت الآلهة البشر

قدرت الموت عليهم

واستأثرت هي بالخلود".^(١١)

ولعلنا لاحظنا في ترنيمة أنو، ذكر مجمع الآلهة، وهذه الفكرة هي وليدة حالة تماهي ما بين الأرضي والسماوي. فحيث أن التنظيم السياسي للدولة البشرية كان مقياساً طبيعياً، تم إسقاطه على العالم الإلهي، حيث ثمة هناك إله كبير، تعترف كل الآلهة به على أنه سيدهم وحاكمهم، يتبعون آراءه ومشورته ويطبقون خططه وينفذون كلمته، تماماً كما يأتمر الوزراء للملك. وهذا ما استطاع الدماغ البشري بما وصل من تطور في إدراك طبيعة النظام الإلهي الإداري.

وقد تبدى السيد العالي في الوثائق: "هو الذي لم تلده امرأة، وإنما خلق نفسه بنفسه، هو الثمرة التي خلقت نفسها بنفسها، خالق كل شيء، واهب الحياة، راعي البلاد - أبوالسنين (الخالد) - خالق الخلائق - الحكيم - الطيب - سيد الرحمة - الرحيم (ذوالفؤاد) - السيد الذي لا تبدل مشيئته - أنواره لا يحدها بصر - أسرار جوهره التي تبقى خافية على البشر - لا أحد يعرف برسايله - لا أحد يلم بقراراته - لا أحد يستطيع فهم دروبه".

وقد ظل أنو معبوداً في المشرق لآلاف من السنين ولاسيما في جناحه الرافدي، لكنه فقد الكثير من مكانته بالتدريج وبات شخصاً شبيحاً إلى حد ما في مجمع الآلهة وصار نادراً ما يذكر في تراثيل الأيام المتأخرة وأساطيرها، وفي ذلك الجين مُنح الإله انليل جل مقدراته، هذا ما ذكره صموئيل كريمير في بحثه المعنون "الديانة السومرية" (موسوعة تاريخ الأديان). نعتقد هنا أن كريمير قد جانب الحقيقة في تحليله، فالمعلوم أن للمجتمعات الزراعية ارتباطاً

بالأرض وإيقاع الطقس والفصول والمطر أكثر من المجتمعات الرعوية أو المدنية فقط.

من هنا فإن ابتعاد أنو إلى الصفوف الخلفية ليس تهميشاً لدوره ومكانته كسيد الآلهة (الملائكة)، وإنما لأن انليل شكّل كما عشتار في صورتها، الرابط بين أنو والإنسان = المجتمع. فهو القوة المحركة المنفذة لمشئته أنو، وارتباطه بمجريات الأرض وأحوالها من طقس وفصول وأمطار ورياح وشارة ملك، جعله أقرب في الذهنية المشرقية إلى واقع المجتمع وإنسانه، فصار الارتباط به يومياً، كارتباط الإنسان بمجريات حياته اليومية، في حين بقي أنو يمثل عرشه العالي الذي اختارته له الذهنية نفسها منذ عصور لاحقة، وهذا ما يطابق تماماً الذهنية الزراعية التي اعتمدت على بعل/ الوسيط /أكثر من اعتمادها على ايل العالي. وهذا الأمر يتطابق تماماً مع السياق الإداري الدنيوي، حيث لا يمكن للموظف العادي أن يراجع المدير العام في كل شاردة وواردة تختص بأجور العمل، بل يراجع مديره المباشر، الذي هو صلة الوصل مع المدير العام. مع ملاحظة أن المدير العام مثلاً، يستطيع طلب الموظف هذا في أي وقت يشاء، لأنه كمي القدرة الدنيوية في مجال عمله.

ولا يبدو أن الفكر المشرقي آنذاك حاد عن هذا المفهوم، كونه أسقط كل ظواهره الدنيوية ونواظمها على عالم السماء والآلهة، وبالعودة إلى مقولة كريمير، فانليل في العقلية البشرية لم يمنح مقدرات أنو، بل كان العنصر المحرك لأوامر أنو وهذا ما أراده الإنسان آنذاك.

انليل:

يعني اسمه بالسومرية "سيد الهواء أو الريح"، حافظ في الأكديّة على اسمه، كما لفظ "الليل" أيضاً. هو ابن الإله أنو على سبيل المجاز، وليس الأمر هنا سوى تصور عالم الآلهة كعالم البشر الأرضي، حيث أن الآلهة مثل البشر من ناحية العيش وممارسة شئون الحياة، حيث لم ينجذ الدماغ ببنيته الإنسان للتوصل إلى الصفات المطلقة للآلهة، فكان السماوي يماهي الأرضي قبل أن يفصله تطور الدماغ إلى عالمين منفصلين تماماً. وإن كان أنو سيد السماء، فإن انليل هو سيد الأرض والهواء. من ألقابه: "نونا منير" = ذو الشأن، ويلقب بسيد كل البلاد وأب الآلهة/ الملائكة/ وهو سيد القدر والمصائر وكلمته نافذة لا رادّ لها، وسيد اجتماع الآلهة، صاحب ألواح القدر، يعادله في مرتبته الإله "انكي" والآلهة "إنانا"، ويرد في النصوص مع مجموعة الآلهة [أنو- انليل - انكي - الإلهة الأم]. يوصف بأنه "منظم الكون منذ البدء" فهو الذي فصل السماء عن الأرض، وهو الذي ينصب الحكام والملوك على عروشهم. يرمز له بالثور البري أو بالصاعقة، فهو يجسد قوى الطبيعة.^(١٢)

مجال عمل انليل هو الأرض، فهو الذي يسير البشر، نُعت بالسيد ولقب بـ "بل". يراقب سير القانون ويعاقب المذنبين ويقرر المصائر، ويوجد هو بمعية أنو، والده، في رئاسة الآلهة. طريق انليل في السماء، يحتوي على (٣٣) نجماً بما في ذلك مجموعتي نجوم ذات

ويقومون الصلاة هناك ويتلون الدعوات والتضرعات".⁽¹⁹⁾

ويشير كونتنو إلى أن شعارات أنو وائليل هي تيجان على شكل بيضة. وفيما يلي من نص مشرق، سنقع على وصف في حال لم يكن الإله انليل موجوداً، بمعنى أن ندرك أهمية هذا الإله، وكما ذكرنا، لو أننا حذفنا كلمة انليل، ووضعنا مكانها اسم إله أو الله، لاستقامت الفكرة حتى عصرنا الحاضر عبر عبادة الله، وهذا يقدم دليلاً على أننا أمام نظام اعتقادي متطور، ومؤسس لما جاء بعده من مفاهيم اعتقادية ودينية، وقد لا يكون الأمر بالمطلق، ولكنه استطاع أن يدمج على الجهاز الاعتقادي البشري ولاسيما في المشرق ومحيطه، بدمغة إيمانية واضحة. لنقرأ:

لولا "انليل":

"لما بنيت المدن ولا أقيمت الأوطان

لما شيدت الزرائب والحظائر

ولما أقيم ملك ولا ولد كاهن أعظم

ولغدا العمال بلا رئيس ولا مشرف

والأنهار، لولاه، ما جلبت مياهها الفيض والإرواء

ولولاه، ما وضع السمك بيضه في الأهوار

ولما بنت أطيوار السماء أعشاشها في الأرض الواسعة

وفي السماء، لولاه ما جاءت بمائها السحب السائرة

ولولاه ما نمت النباتات والأعشاب

وفي الحقل والمرعى ما ازدهرت الغلة الخصبة

ولما أنتجت الأشجار النابتة ثمارها".⁽²⁰⁾

وتذكر الوثائق أيضاً في "انليل":

"السيد العظيم، الجبار الأسمى في السماء والأرض

العارف كل شيء، الذي يفهم القضاء

الحكيم، العاقل

الذي لا يترك الأشرار وفاعلي السوء ينجون بأفعالهم

معبده، قوانينه كالسما لا يمكن نقضها

شعائره النقية كالأرض لا يمكن تحطيمها

كلمتك في السماء هي الدعامة

كلمتك في الأرض هي الأساس".⁽²¹⁾

تري، من لا يقرأ هذه التراتيل إلا ويحس بالخشوع في حضرة الإله أو الله، كما وأن الذهنية واحدة منذ ذلك الوقت إلى الآن. وكان في اعتقاد المشرقيين آنذاك أن الآلهة تعيش فوق "جبل السماء والأرض، في الموضع الذي تشرق منه الشمس".⁽²²⁾ الجدير بالذكر أيضاً؛ أن الفكر الاعتقادي هنا، أرجع ما أنجزه الإنسان /وفق تطوره الدماغي والحسي - الحركي/ إلى الإله، وهذه الفكرة مهمة لأنها متواصلة إلى يومنا هذا حتى عبر الديانات السماوية. فالإله هو من قام بفعل الخلق والتكوين، ثم نظم الحياة على الأرض، ومد الإنسان بالعلم والتوجيه فعلمه أصول الزراعة والتدجين والبناء والكتابة وإنشاء المدن. بالإضافة إلى تنظيم الكون.

الكراسي والجبار وذو العنان والسرطان والأسد والإكليل الشمالي والدب الأكبر والدب الأصغر والثعبان والنسر والدلفين والمشتري.⁽¹³⁾ وبحسب الاعتقاد المشرقي، كان انليل هو الذي يعلن اسم الملك ويعطيه صولجانه وينظر إليه بعين الرضا.⁽¹⁴⁾ وتشير النصوص المتأخرة إلى أنه كان إلهاً محسناً ورحيماً، يعزى إليه تدبير وخلق أهم العناصر المنتجة في الكون، فكان هو الإله الذي يخرج النهار، وهو الذي يحبو البشر بشفقتهم وعطفه وهو الذي أخرج جميع البذور والنباتات والأشجار من الأرض، وهو الذي يحمل الخير والبركة إلى البلاد، وهو صانع المحراث والفأس.⁽¹⁵⁾

ولعل الرهبة الحقيقية من الإله انليل، كانت تتركز في العواصف والرياح العاتية التي يمكن أن تدمر المدن وتخرب الحقول والثمار، لهذا حفلت نصوص المشرق بالكثير من التراتيل والترنيمات التي تتوسل إلى انليل للترفق بالبشر، لنقرأ:

"العاصفة التي أثارها انليل الغاضب

العاصفة التي دمرت البلاد

غطت "أور" كمنديل

لقها كالقفص".⁽¹⁶⁾

وكدليل على أن انليل كان يمنح إشارة الملك للملك وباركها نقرأ في وثيقة تعود للملك لوجال زاجيزي تعود إلى منتصف الألف الثالث، وكان ينوي القيام بحملة استيلاء على مدن رافدية، حيث يتذرع بالإله انليل:

"وحيثما وضع انليل، ملك كل البلدان

ملك البلاد في يد لوجال زاجيزي

حينما وجه انليل أعين الشعب كله نحوه

وبسط كل البلدان تحت قدميه

وحيثما أخضع له كل شيء من الشرق إلى الغرب

في ذلك اليوم أصلح انليل له

بين الطرق من البحر الأسفل (الخليج العربي)

على امتداد دجلة والفرات إلى

البحر الأعلى (البحر المتوسط)".⁽¹⁷⁾

كما عثر في مدينة نيبور الرافدية على ترتيلة موجهة للإله انليل:

"انليل ذو الأمر الواسع المدى الذي كلمته مقدسة

الإله الذي لا يبدل كلامه، الذي يقدر المصائر إلى الأبد

الذي تبصر عيناه جميع الأقاليم

الذي يتغلغل نوره المتعالي في قلوب جميع البلدان

الذي يحكم إرادات القوة والسيادة والملك".⁽¹⁸⁾

ثم تتجه الترتيلة للحديث عن معبده في مدينة نيبور:

"إن رهبته وخشيته لتضاهيان السماء

وظله منتشر على جميع الأقاليم

وتساميه يبلغ قلب السماء

الأسياذ والأمراء كلهم يأخذون إلى هناك الهدايا والقرايين المقدسة

انكي:

ف.فون زودن إلى أن الإلهة الأم هذه كانت تحمي الخصب لدى البشر والحيوانات وقد عرفت بأسماء متعددة حسب كل مدينة.^(٢٤) وتشير كارين أرمسترونغ إلى أن تقديس الأم الكبرى كانت واحدة من أكثر الآلهة قدرة وبالتأكيد أكثر قدرة من إله السماء الذي بقيت شخصيته ظلية.

شمش:

عرف باللغة السومرية بـ "أوتو" ويعني "المضيء". هو إله العدالة وإحقاق الحق، حيث يرد في أحد النصوص أن "أوتوهو المدافع عني". وبصفته بصيرًا فقد اتخذ المشرقيون حاميًا لطقوس الكهانة وعلم الغيب. مع الإشارة هنا؛ إلى أنهم أخذوا منه "الضياء" أما ما يصدر عنه من أشعة حارقة فقد عزيت إلى الإله "رجال" أو إله النار. يعزى ظهوره في قبة السماء خلال النهار واختفائه في الليل إلى أنه يقطع السماء تجوًا نهارًا ويركن إلى حضن البحر ليلاً ليعود من جديد ويظهر خلف الجبال صباح اليوم التالي. وعندما يختفي في الليل فإنه يقوم برحلة إلى العالم السفلي ليزود الموتى بالضوء والطعام والشراب. فحسب النصوص هو "شمس الأرواح الميتة".^(٢٥)

وفي مقاربة للمؤرخ أرنولد توينبي عن عبادة الشمس يقول: "إن النجوم لا تمنح الثقة ذاتها التي تأتي من الشمس، فالسيارات المذبذبة كالطقس، والنجوم الثابتة جامدة... إن مسيرة الشمس اليومية والسنوية منتظمة، مقننة والشمس ذاتها عادلة، إذ أنها تمنح نورها ودفنها لجميع الخلائق دون محاباة. فنحن نعتمد عليها بثقة أكبر من الثقة التي نولها للأم - الأرض. وبما أن الشمس ترى كل شيء يصنع على الأرض، فإنها تحتفظ يسجل لجميع الأرباح والخسائر لكل كائن بشري".^(٢٦)

ويشير عباس محمود العقاد إلى أن ديانة الشمس تستلزم درجة من الثقافة العلمية والأدبية، فلا بد من نظرة فلكية تحيط بنظام الأفلاك وعلاقة الشمس بالفصول ومواعيد السنين. وتستدعي هذه الديانة أن يرتفع العقل البشري بفكرة الخلق من أفق الأرض القريب إلى الآفاق العليا في السموات، حيث تتعاضد فيها دواعي الحركة والسكون، الحياة والموت، ويقترّب من الأوج الذي يستوعب فيه الكون بنظرة شاملة. فديانة الشمس - حسب العقاد - كانت الخطوة السابقة لخطوة التوحيد الصحيح. لقد اتسعت نظرة الإنسان إلى دنياه، حتى الشمس لها علة في السماء، فعبدها ثم أصبحت رمزًا للخالق حين تجاوزها الإنسان بنظره إلى ما هو أعظم منها وأعلى. ربما يشير الكاتب هنا إلى عبادة الشمس وفق العبادة الأخناتونية في مصر والتي ازدهرت في منتصف الألف الثاني ق.م تقريبًا.

ولكن ما ينسحب منها على المشرق العربي يخالف هذا الاحتمال، فرمزية الشمس في الألف الثالث وربما قبله كانت رمزية لقوة هائلة من قوى الطبيعة، التي تبين للإنسان آنذاك أهميتها ليس بسبب أشعتها الحارقة، ولكن في ضيائها الذي يحجب الظلام،

هو سيد الأرض، يقابله بالأكديّة "إيا" هو إله الحكمة والتعويذات، وسيد المياه العذبة /أبسو/. هو إله الخير والعذوبة ومانح الخصب ومفجر الينابيع. تخضع له في مقره المحيطات العذبة، عفاريت المياه والكائنات الخرافية، غالبًا ما يذكر في النصوص المشرقية مترافقًا ضمن مجموعة الآلهة الأربعة الرئيسية [أنو - انليل - انكي - الإلهة الأم]. يدير شؤون القوانين الإلهية - مي - ألواح القدر. يعلم الناس طقوس التعاويذ، ويسدي النصائح للآلهة. ورد ذكره في أساطير عديدة - أسطورة انكي ونخورساج - انكي وننماخ - انكي والنظام الكوني.^(٢٣) حمل ألقابًا عديدة مثل: أب - ملك الآلهة - خالق العالم - سيد القدر. وهناك نص عثر عليه في مدينة نيبور يتحدث عن خلق الإنسان عبر انكي: الإلهة الأم = البحر الأول = نمو، تقول لانكي إله الماء: قم يا بني من فراشك .. واعمل ما هو حكيم ولائق، اصنع عبيدًا للآلهة وعساهم يضاعفون من أعدادهم. يقوم انكي ويقود جميع الصناعات الماهرة ويقول لأمه: "أماه، إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود فاربطي عليه صورة الآلهة

اعجني لب الطين الموجود في مياه العمق واجعلي الصانعين الماهرة يكتفون الطين وعليك أنت أن توجدي له الأعضاء والجوارح وستعمل ننماخ (الأم - الإلهة) من فوق يدك وستقوم بجانبك إلهة الولادة في أثناء وضعك يا أماه قدرتي مصيره (أي مصير المولود الجديد) وستلصق عليه ننماخ صورة الآلهة إنه الإنسان". (من ألواح سومر) وأورد غولايف نصًا يعود إلى نهاية الألف الثالث ق.م، يشير إلى أهمية انكي لمدينة أور: "أيها المدينة، كل شيء متوفر لك .. تغسلك مياه لا تنضب أنت راسخة كالثور منصة خصب البلاد، جبل أخضر مدينة قدر مصيرها انكي يا حرم أور، فلترتفع إلى السموات"

الآله الكبرى:

تجسد الأمومة في الأنثى، وقد أخذت أشكالاً وظواهر عديدة، وهي من المعتقدات الموغلة في القدم، تعود لما قبل عصر الزراعة، لكنها تطورت تبعًا لتطور الحياة الإنسانية. مهمتها الرئيسية هي إنجاب البشر، ففي المعتقد المشرقي إذن هي المسئولة عن الإنجاب وتوابعه، أي من تبارك المرأة الولود وتجعلها سالمة بحملها ووضعها. وقد ورد ذكر ننخرساج في إحدى قوائم الآلهة كإلهة للأمومة. ويشير

بعض القوائم بعد أنووانليل ثم يتبعها انكي وإله القمر وإله الشمس. تصور على أنها إله للحب والجنس مع الإشارة إلى افتراقها عن تصور الأم الكبرى الولود ورمزيتها. عند الفعالية الآشورية أخذت صورة إلهة الحرب أيضًا، وارتبطت بنجم الزهرة. أطلق عليها حمورابي في مقدمة قوانينه "سيدة الكفاح والمعارك". وقد ردت في الكثير من الأساطير المشرقية.^(٢٧) وقد جاء في الوثائق الأكديّة أنه حين استولى شاروكين الأكدي على العرش "ارتقى بفضل رحمة عشتار".^(٢٨)

في الوثائق الأجاريتية سميت عشتروت بالحروف الساكنة. وفي النصوص الأجاريتية يرد أن الحصان هو حيوانها المفضل. كما وردت في الكتابات العربية الجنوبية تحت اسم عشتار (ع ث ت ا ر) بصيغة المذكر. وقد انتشرت معابدها في معظم مدن المشرق العربي / معابد إنانا - عشتار.^(٢٩) ويلاحظ فنيّا أن عشتار أخذت ثلاثة وجوه من العلامات: فهي إلهة الخصب والنماء وحيوانها الثعبان، وهي إلهة الأرض وسيدة المعارك، حيث تتخذ الأسد رفيقًا لها وتحمل السلاح، وعشتار السموات وإلهة الحب حيث تتخذ لها سرّيًا من الحمام.^(٣٠)

خاتمة

بهذا نكون قد ألقينا ضوءًا على مجموعة الرموز الاعتقادية التي عُدت في المشرق العربي، والتي كان في استمراريتها حتى الألف الأول الميلادي دوره المهم، ولاسيما فكرة الإله العالي، المحجوب، الذي يسكن السماء، لا يرى ولا يُرى، ويبيده مقادير الأرض والسماء، هذه الفكرة التي سوف تتطور وتبلور مع مَرَّ العصور حتى فجر الأديان السماوية المسيحية والإسلامية والتي ستكون رافعتها الحضارية هي ثقافة الألف الأول قبل الميلاد، الكلدانية - الآرامية بالذات التي امتدت فاعليتها الحضارية حتى الجزيرة العربية انطلاقًا من تيماء، العاصمة الثانية للملك الكلداني نبونيد بعد بابل. والجدير ذكره هنا؛ أن كلاً من إله الشمس والقمر، كان إلهًا قائمًا بذاته في حين كان يتم تشخيص بقية الآلهة عن طريق ارتباطهم بالنجوم، كما في عشتار التي ارتبطت بالزهرة ومردوخ الذي ارتبط بالمشترى. ويشير هنري فرنكفورت إلى أن معظم مدن المشرق كانت تتوقف عن العمل بالحياة اليومية عدة مرات في الشهر كلما انتهى القمر من أحد أوجهه.

لهذا كانت إلهًا للعدالة، حيث تكشف الغطاء وتنير درب الحقيقة. أما لجهة استيعاب الحركة الفلكية بما يشير إلى تطور دماغي في الفصوص والقشرة الدماغية، فهذا لم يتحقق في المشرق العربي إلا في الألف الأول قبل الميلاد مع الثقافة الكلدانية المتطورة علميًا وفلكيًا تحت جناح المعتقدات آنذاك. وكان للعبادة الثنائية آنذاك للقمر والشمس، دورها الطبيعي في تطور المعتقد وانتقاله إلى الثقافات الأخرى على مدى المحيط المشرقي وجواره حتى العربية الجنوبية مرورًا بالجزيرة العربية.

وهنا نود أن نشير إلى أننا لن نجري سيرًا موسعًا لكل الآلهة المشرقية، ولكن ما يهم في سياق بحثنا، هو العبادات أو المعتقدات التي نشأت في المشرق واستمرت عبر العصور حتى فجر الأديان السماوية. كعبادة الشمس وعبادة القمر وعبادة النجوم، وكل هذا مترافقًا مع وجود السيد العالي في مختلف الثقافات المشرقية. ومن الترانيم الموجهة للشمس في وثائق المشرق نقرأ:

"أيها القاضي الصالح

أنت ملك السماء والأرض وسيد الأقدار

أنت قاض صافي الضمير

أنت ترى نفس الشرير والمؤذي واضحة كضوء النهار".

وفي خاتمة قوانين حمورابي نجد وصفًا رقيقًا لشمس حيث نقرأ:

"إله القاضي الجبار للسماء والأرض

الذي يهدي الكائنات الحية إلى الطريق القويم".

وفي وثائق الملك أورنمو العائدة إلى أواخر الألف الثالث نقرأ:

"لقد أقمت إلى أبد الدهر صرح العدالة المستندة إلى قوانين شمش الصالحة العادلة".

إن مجمل هذه المضامين تقدم الإله /الملك/ شمش على أنه سيد العدالة والقصاص ما يشير إلى أن البنية الذهنية آنذاك اعتمدت على النهج التصنيفي لوظائف الملائكة إله القمر - سن: في السومرية هو "ناتا" وفي الأكديّة "سن". يوصف بأنه صاحب الشروق المشع، غالبًا ما يرافق الرمز الكتابي الذي يعني ٣٠ اسمه في النصوص ويتفق هذا الرقم مع عدد أيام الشهر القمري. قدس في مدن عديدة في المشرق العربي، وامتدت عبادته حتى العصور الإسلامية. حين كان القمر يأخذ شكل الهلال، كان المشاركة يتصورونه سفينة السماء، وأن القمر، ثور يمثل الهلال قرنيه. كان في بعض وجوهه إلهًا للقدر يستفتى بحدوث مستقبلية. ويدعى في الصلوات والتعاوين بإله العدالة، ويلقب في المدائح والأناشيد بـ "مالك القدر". وقد تم تصويره على شكل هلال بقرنين بارزين. استمرت عبادته حتى فجر الأديان ولاسيما الديانة الإسلامية، اهتمت به الأنماط الاجتماعية البدوية أكثر من الأنماط الزراعية.

إنانا - عشتار:

في السومرية وردت (نين - أنا)، ويعني سيدة السماء. أشتار أو عشتار في المعتقد البابلي. شعارها (حلقة قصب)، جاء ترتيبها في

الهوامش:

- (١) صموئيل، كريم، هنا بدأ التاريخ - بغداد ١٩٨٠. ص ٦٢ - ٦٣.
- (٢) د. جواد، حسن فاضل، حكمة الكلدانيين - ج ١ - بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٠. ص ١٠ - ١١.
- (٣) راجع: بوترو، جان، بابل والكتاب المقدس، ١٩٩٤.
- (٤) كريم، صموئيل، من ألواح سومر/ ترجمة: طه باقر - بغداد: مكتبة المثنى، ١٥٩ ص.
- (٥) المرجع السابق، ص ١٦٠.
- (٦) المرجع السابق، ص ١٦٣.
- (٧) كونتنو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور/ ترجمة: سليم طه التكريتي - ط ٢ - بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٨٦. ص ٣٧٨ - ٣٧٩.
- (٨) بوترو، الديانة عند البابليين، ص ٩٩ - ١٠٠.
- (٩) كنعان، جرجي، تاريخ الله، ص ١٩٥.
- (١٠) بوترو، مرجع سابق، ص ٧٣.
- (١١) حنون، نائل، ملحمة جلجامش (اللوحة العاشر).
- (١٢) ادزارد، د. م. ه. بوب. ف. رولينغ، قاموس الآلهة والأساطير/ ترجمة: وحيد خياطة - حلب: مكتبة سومر، ١٩٨٧. ص ٦٨.
- (١٣) كونتنو، ص ٨ - ٣٧.
- (١٤) كريم، مرجع سابق، ص ١٧٢.
- (١٥) كريم، مرجع سابق، ص ١٧٢.
- (١٦) غولايف، المدن الأولى - موسكو، ١٩٨٩. ص ٨٥.
- (١٧) غولايف، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- (١٨) كريم، مرجع سابق، ص ١٧.
- (١٩) كريم، مرجع سابق، ص ١٧٦.
- (٢٠) كريم، مرجع سابق، ص ١٧٨.
- (٢١) كنعان، تاريخ الله، ص ٢٢٠.
- (٢٢) كريم، مرجع سابق، ص ١٦٩.
- (٢٣) ادزارد، مرجع سابق، ص ٦٤.
- (٢٤) ف. فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم/ ترجمة: فاروق إسماعيل - ط ١ - دمشق: دار المدي، ٢٠٠٣. ص ١٩٤.
- (٢٥) ادزارد، مرجع سابق، ص ٤١ - ٤٢.
- (٢٦) تويني، تاريخ البشرية - ج ١. ص ٢٨٤.
- (٢٧) ادزارد، مرجع سابق، ص ٥٣.
- (٢٨) برينتيس، بوهارد، نشوء الحضارات القديمة/ ترجمة: جبرائيل كباس - ط ١ - دمشق: دار الأبيدية، ١٩٩٩. ص ١٢٧.
- (٢٩) ادزارد، مرجع سابق، ص ٢٢٤.
- (٣٠) كونتنو، مرجع سابق، ص ٤٢٦.